**التقاطعية لا تناسب الكويريين الفلسطينيين أمثالي**

عزات العمور

نُشرت المقالة في صحيفة هآرتس

قبل اثني عشر عامًا، عندما كنت في الـ 19 من عمري، وطالبًا للقب الأول في جامعة بن غوريون، تعرفت لأول مرة إلى الحركة الكويرية الفلسطينية.

عرفتُ أنّ هناك منظمتين مستقلتين رئيسيتين متخصصتين حصرًا بقضايا مجتمع الميم الفلسطيني: القوس للتعددية الجنسية والجندرية في المجتمع الفلسطيني، وأصوات- المركز النسوي الفلسطيني للحريات الجنسية والجندرية. تشكّل هاتان المجموعتان فعليًا الحركة الكويرية المحلية [للفلسطينيين.](https://www.haaretz.com/middle-east-news/palestinians)

حاولت بعد ذلك بفترة وجيزة الانخراط في جمعية القوس. ولكن بسبب إقامتي في بئر السبع، كنت أكثر تواصلا مع مجتمع [LGBTQ](https://www.haaretz.com/misc/tags/TAG-lgbt-1.5599272)  الذي اكتشفته مؤخرًا عبر شبكة الإنترنت. في نفس السنة، شاركت في التخطيط السنوي لجمعية القوس في بيت جالا، خارج بيت لحم. كانت تلك المرة الأولى التي ألتقي فيها بعدد كبير من أفراد مجتمع الميم الفلسطينيين، معظمهم رجال مثليون، من الضفة الغربية، القدس الشرقية ومن داخل الخط الأخضر.

كشاب في مقتبل العمر، كنت قد بدأت أخرج تدريجيًا من فقاعة قريتي، الكسيفة، وهي قرية بدوية صغيرة في النقب، حيث كنت أعيش ككويريّ في صحرائي الجندرية داخل صحراء حقيقية. مع أنّني اكتشفت وتقبلت هويتي الكويرية كمراهق، إلا أنني واجهت صعوبة في تحديد مسار حياتي الأسرية، الاجتماعية والثقافية، وكنت أحاول أن أجدي مكاني فيها كرجل كويري.

عندما سمعت عن القوس لأول مرة، توقعت أن يكون محور نشاطهم القضاء على رهاب المثلية في المجتمع الفلسطيني، وفي الوقت نفسه خلق مساحات لأفراد مجتمع الميم الفلسطينيين أمثالي، في خضم محاولاتهم لتخيّل مستقبل يوفّق بين ثقافتهم وعائلتهم، وبين هويتهم الكويرية.

بدلًا من ذلك، وجدت نفسي غارقًا دومًا في نقاشات مربكة تهيمن عليها اصطلاحات مثل التقاطعية، الغسيل الوردي، القومية المثلية والاستعمار الاستيطاني.

مع أنّني لم أفهم تمامًا كيف تسهم هذه الاصطلاحات، وفقًا لمؤسّسي القوس، في تحرير مجتمع الميم، إلّا أنّني على قدر كاف من المعرفة للتشكيك في نجاعة هذا التوجّه. ولكنني لم أشعر بالراحة الكافية لإسماع صوتي، وبقيت صامتًا طوال الوقت. بدأت أشكك بمدى ارتباطي بعالم القوس.

حضوري للأنشطة قلّ تدريجيًا. تابعت حضور حفلاتهم الكويرية في تل أبيب (حيّز مرح ومُبهج للغاية، مع موسيقى عربية وعروض دراغ) مرة كل شهرين. توقفت عند هذا الحد، على الرغم من رغبتي الأولية في الخروج من الخزانة أمام عائلتي، والتغلب على البعد الجغرافي الكبير عن مقر المنظمة، والانخراط بشكل نشط في حِراكها.

الآن، بعد عقد من التنقلات الدائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل-فلسطين، بعد نيل اللقب الثاني في مجال الجندرية والجنسانية والاقتراب من نيل الدكتوراه في علم الاجتماعي التربوي، فإنّ هذه الاصطلاحات التي بدت لي غريبة كشاب في الـ 19 عامًا من عمره، أصبحت أكثر وضوحًا وأكثر منطقية.

ولكن حتى الآن، كأكاديمي يتشارك مع مؤسسي القوس وأصوات نفس اللغة الفكرية، ويفهم نظرتهم للتحرير الفلسطيني الكويري، لا زلت متحفظًا من اصطلاحاتهم ورؤيتهم.

أنوه أولًا بأنني أعترف بالأثر المؤكد  [وبالجهود](http://https/youtu.be/2Kl4l-yKbUw) الجبارة التي تبذلها القوس وأصوات، غالبًا في ظروف صعبة: ابتداءً من المساعدة الطارئة والفورية لأفراد كويريين محليين، مرورًا بتنظيم أنشطة جماهيرية، تقديم دعم معنوي وعملي من خلال الخط الدافئ التطوعي، إصدار كتاب قصص مصورة للشبيبة الكويريين، إنتاج موسيقى كويرية، تنظيم مهرجان سينمائي كويري محلي وإقامة ورشات عمل حول قضايا خاصة بمجتمع الميم لعاملين اجتماعيين وخبراء مهنيين من مجال الصحة النفسية.

ولكن ذلك لا يلغي تحفظاتي من الرؤية التي تقود نشاطهم. تتموضع التقاطعية في مركز أيديولوجيا الحراك المنظم لمجتمع الميم الفلسطيني. في هذا السياق، التقاطعية تعني أنّ التحرير الكويري مرتبط جوهريًا بانتهاء الاحتلال الإسرائيلي للفلسطينيين، وانتهاء الاستغلال الإسرائيلي للفلسطينيين الكويريين (الغسيل الوردي) لرسم صورة أفضل لإسرائيل أمام العالم (القومية المثلية).

مع أنّ هذا التوجه مهم جدًا للنضال الكويري الفلسطيني، ويستند دون أدنى شك إلى دينامية حقيقية، إلّا أنه ينطوي على بضع إشكاليات. برزت هذه الإشكاليات في مطلع صيف 2019، عندما وصل نضال مجتمع الميم أخيرًا إلى مجتمع التيار السائد، إلى الحيز العام وإلى الإعلام المحلي.

الإشكالية الرئيسية الأولية في التقاطعية هي "ثِقل" هذه النظرية. تعقيداتها الفكرية ولغتها الاصطلاحية بعيدة عن مكان تواجد المجتمع الفلسطيني داخل مجتمع الميم وعلاقته به، والعكس صحيح.

تداخلي في المجتمع الفلسطيني الكويري على مدار 12 عامًا، خاصة العام الذي أجريت خلاله دراستي الميدانية لإعداد أطروحة الدكتوراه حول مجتمع الميم الفلسطيني، يؤكد أنّ العديد من الفلسطينيين الكويريين لم يسمعوا في حياتهم اصطلاحات مثل الغسيل الوردي. اضطررت لتعريفهم بهذه اللغة وشرحها خلال المقابلات التي أجريتها.

بالنسبة للمجتمع الفلسطيني الأوسع، غير الملم بحياة أو بنضالات مجتمع الميم، لم تكن هذه نقطة انطلاق ناجعة.

التنظيم التقاطعي يؤدي إلى نضال ذي شقين: النضال ضد الاستعمار الإسرائيلي وضد الثقافة الفلسطينية المحافظة. هذا وحده يُربك الجمهور الفلسطيني غير المتداخل وغير المطلع على الهويات الكويرية الميميّة. خطاب التقاطعية وأهدافه ينطوي على قدر كبير جدًا من الإحالة الذاتية والمبالغة الفكرية. تثقيف المجتمع الفلسطيني حول الهويات الكويرية الميميّة يجب أن يبدأ بتعميم رسائل مبسطة وواضحة حول الحبّ والتسامح والتقبل. يجب تعريف المجتمع بأنّ الكويريين الميميين موجودون بيننا، ويسعون للتطور والنجاح.

إنّها مسألة تعزيز الوعي الأساسي. ولكن في كثير من الأحيان، فإنّ التعابير الأكثر شيوعًا في منظمات مجتمع الميم الفلسطيني مؤطرة إلى حد كبير داخل نظرية يصعب شرحها للفلسطينيين الكويريين أنفسهم، مثل [سلسلة](http://https/www.haaretz.com/israel-news/.premium-lgbtq-arabs-hold-first-ever-protest-in-israel-following-teen-s-tel-aviv-stabbing-1.7617641) المظاهرات غير المسبوقة التي أقيمت في حيفا قبل ثلاث سنوات، وقد سميت المظاهرة الأخيرة ضمن هذه السلسلة بـ "صرخة كويرية للحرية"، رفعت فيها أعلام فلسطينية وأعلام قوس قزح.

راقبتُ ردود الأفعال الفلسطينية على هذه المظاهرات على منصات إخبارية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة المظاهرة الأولى في حيفا في آب 2019. كان واضحًا أن رفع العلم الفلسطيني إلى جانب أعلام قوس قزح وأعلام المتحولين لفت مزيدًا من الانتباه، واعتبر أكثر استفزازًا وإثارة للجدل من الانتماء لمجتمع الميم.

التيار السائد في الشارع الفلسطيني كان أكثر انشغالَا في الدفاع عن "كرامة" العلم الوطني، ووجد أنّ رفع الكويريين للعلمين معًا هو أمر مخز يشوه القضية الفلسطينية.

كانت مظاهرة آب مظاهرة احتجاجية على موجة العنف ضد مجتمع الميم و  [التحريض](https://www.haaretz.com/middle-east-news/palestinians/.premium-targeting-lgbtq-organization-pa-police-calls-to-halt-west-bank-community-event-1.7723135) من قبل سياسيين، مما أدى في نهاية المطاف إلى تعزيز حضور نضال مجتمع الميم الفلسطيني والتماهي مع قضاياه، ابتداءً من الشارع، مرورًا بالإعلام ووصولًا إلى [الكنيست](https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-they-re-scared-lgbtq-rights-divides-israel-s-arab-lawmakers-1.9016346) والسلطة الفلسطينية.

ولكن الرسالة ضاعت وسط أثر العلم الفلسطيني. بدلًا من تسليط الضوء على شرعية وحقوق مجتمع الميم، تحولت المظاهرات إلى جدلٍ حول من هو الفلسطيني. تبرز هنا مفارقة ساخرة لأنّ الغضب حول مسألة رفع العلم الفلسطيني أثيرَ بسبب الفكرة المتزمتة بأنّ مجتمع الميم لا يمكن أن يكون فلسطينيًا.

قضية الأعلام ورد الفعل العنيف يوضحان كيف أنّ الإصرار على ترسّخ النضال الكويري الفلسطيني في التقاطعية يحول الانتباه عن قضايا مهمة بنفس القدر، والتي تستحق قدرًا متساويًا من الاهتمام، وربما أكبر أيضًا.

القضية الأبرز والأكثر إلحاحًا هي التقبل العام للهويات المختلفة التي تكوّن مجتمع الميم، وإنكار وجودها في المجتمع الفلسطيني. مع أنّ نشطاء القوس قد يجزمون أنّ استمرار رهاب المثلية في المجتمع الفلسطيني [مقترن](https://www.haaretz.com/opinion/.premium-who-are-the-real-oppressors-of-gaza-s-gay-community-hamas-or-israel-1.5885509) حتمَا باستمرار الاحتلال، إلا أنّ ذلك لا يجعله أقل إلحاحًا، ولا يمنعنا من محاربته بشدة، تزامنًا مع مقاومة الاحتلال.

من الواضح أنّ هناك رباط وثيق بين العنف النابع عن رهاب المثلية داخل المجتمع الفلسطيني والموجّه ضد مجتمع الميم الكويري، وبين إقصاء هذا المجتمع من الرواية الفلسطينية، وهاتان القضيتان هما بالتأكيد قضيتان أساسيتان تتطلبان حلًا. ولكن بدلًا من ذلك، وبينما اكتسب رهاب المثلية الفلسطينية مزيدًا من الزخم في السنوات الماضية، فإنّ التحول الإيجابي الذي يدل على أنّ قادة حراك مجتمع الميم الكويري يلائمون ويعدلون أولوياتهم لم يحقق بعد أثرًا كبيرًا على مظاهر حراك مجتمع الميم الكويري الأكثر شعبية- أي على الشارع.

ولكن المسألة لا تقتصر على ذلك: فلو لم ترفع الأعلام الفلسطينية في تلك المظاهرة، هل كان ذلك سيحول الانتباه لقضايا مجتمع الميم الكويري بدلًا من أن يتحول إلى جدل حول الهوية الوطنية الفلسطينية؟ بكلمات أخرى، ألا تسيء التقاطعية هنا لقضية مجتمع الميم الكويري الفلسطيني، بدلًا من إفادتها؟

مع أنّ التقاطعية هي شيء مثالي على المستوى النظري، إلّا أنّها تحوي الكثير على المستوى العملي، مما يشوش على محاولات تلبية الاحتياجات الخاصة. فيما يخص الاحتجاجات على العنف الناجم عن رهاب المثلية: مَن تستهدف هذه الاحتجاجات؟ القوى الاستعمارية، أم الثقافة الفلسطينية التي تعتبر المغايرة الجنسية هوية جندرية قياسية؟ بالنسبة للنشطاء، فإنّ الإجابة عن هذا السؤال سهلة للغاية: كلاهما، وفي نفس الوقت. ولكن المجتمع الفلسطيني غير جاهز بعد لمثل هذا التفسير المشتت لسبب وجوب تقبل حضور مجتمع الميم الكويري.

ماذا عن أفراد مجتمع الميم الكويري أنفسهم، والذين يواجه البعض منهم مختلف مظاهر العنف، التهديد، الخوف من الكشف عن هويتهم الجنسية أو الجندرية، أو الراغبون في أخذ دور فعال في النضال لمواجهة وحل هذه القضايا تحديدًا، دون نبذ النضال الوطني الفلسطيني، ولكن دون ربط أحدهما بالآخر؟

أجد أنّ مطالبة المشاركين بالتعبير دومًا عن هويتهم الفلسطينية إلى جانب هويتهم الكويرية عند المطالبة بإنهاء الاحتلال هي استراتيجية سيئة.

مع أنّ هذه المظاهرات هي إنجاز مهم وعلامة فارقة في نضال مجتمع الميم الكويري الفلسطيني، إلا أنّها لم تُحسِن توفير حيز لأفراد مجتمع الميم الكويري الفلسطيني الراغبين في تسليط الضوء على قضايا مجتمع الميم الكويري في سياقها الاجتماعي-الثقافي المضمّن، والتطرق إلى كيفية معايشتهم للعداء ضد مجتمع الميم الكويري: الادعاءات بأنّ المثلية الجنسية دخيلة، غربية، غير طبيعية ومخالفة للبنى الدينية للمجتمع الفلسطيني.

هذا التوجه لا يقل أهمية ومنطقية عن التأطير الحالي المهيمن لنضالات مجتمع الميم الكويري كنضال وطني ومعاد للاستعمار...

احتكار التقاطعية للحراك الكويريّ الميميّ أدى أيضًا إلى إقصاء فلسطينيين كويريين الذين أمكنهم أن يكونوا مدافعين مؤثرين وحقيقيين عن حقوق هذا المجتمع. تحدثت إلى العديد من الفلسطينيين الكويريين الذين أفادوا بأنّ التركيز الشديد على التقاطعية والاحتلال كان السبب وراء خروجهم من الحراك.

شعر البعض بأنّ التوجّه المعادي للاستعمار كان مهيمنَا بشدة على مختلف فضاءات الحِراك إلى درجة إقصاء أو حتى محو كويريتهم. البعض منهم توقف عن إبداء رأيه بصراحة، علمًا أنّه لا يتماشى بالقدر الكافي مع الأيديولوجيا المهيمنة.

إنّ احتكار التقاطعية لحراك مجتمع الميم الكويري الفلسطيني، بتشبّثه بالترابط الشامل بين قضايا مختلفة، أدى في نهاية المطاف إلى إقصاء جزء من مجتمع الميم الكويري، مع أنّ الاهتمام بقضاياهم وَجَب أن يكون الهدف الرئيسي لهذا الحراك. لقد أمكن لهذه المظاهرات أن تكون أكبر عددًا ولمجتمع الميم الكويري أن يكون أقوى وأوسع لو كانت هناك مرونة في التوجه التقاطعي.

لا يقصد بذلك أنّه يتوجب علينا التوقف عن ربط نضال مجتمع الميم الكويري بالاحتلال، بل ندعو لإبطال مركزية هذا الربط، خاصة وأنّ نضال مجتمع الميم الكويري الفلسطيني لا يزال في أولى مراحل تأسيس تعريفاته الأساسية والاعتراف بقضايا مجتمع الميم الكويري داخل المجتمع الفلسطيني، حتى وإن كان النضال قائمًا منذ فترة طويلة.

قبل أن تنهال عليّ الاتهامات من كل حدب وصوب، أنوّه بأنّني لست من أنصار الغسيل الوردي أو القومية المثلية. أنا من أشد أنصار مجتمع الميم الكويري الفلسطيني، وأشارك قادة ونشطاء الحراك الكويريّ الميميّ الحلم بمجتمع فلسطيني خالٍ من الاحتلال ومن رهاب المثلية، والذي يوفر حيزًا آمنًا للفلسطينيين الكويريين.

ولكنني أعتقد أنّ حوارنا حول كيفية تحقيق هذه الأحلام يجب أن يكون أكثر تنوعًا، أكثر سلاسة وأكثر انفتاحًا للمفاوضات. أعتقد أنّ الوقت قد حانَ للتساؤل حول ما إذا كان حراك مجتمع الميم الكويري آخر 20 عامًا سيحقق قدرًا أكبر من الإنجازات لو لم يضع جل تركيزه في ربط الحياة الكويرية في فلسطين بالاستعمار.

لا شك في أنّ الصراع يحدد شكل كلّ شيء بين النهر والبحر، خاصة بالنسبة للفلسطينيين، ولكننا لا نستطيع الاستسلام طوعًا وعدم تحقيق أي تقدم في حيزنا الخاص لمجرد أنّنا نربطه بالصراع.

حملات المجتمع المدني الفلسطيني- لتحسين مكانة النساء، لمكافحة السلاح، لمكافحة العنف المنزلي، من أجل حرية التعبير، من أجل منظومات أسرية أكثر تنوعًا، من أجل زيادة منالية التعليم العالي- جميعها جهود حيوية تُحدث فِعلًا تغييرًا إيجابيًا في مجتمعنا. لا يجب أن نسمح للاحتلال باحتجازنا كرهائن داخل المجالات التي يمكننا أن نحرز فيها تقدمًا اجتماعيًا وثقافيًا.

يسري ذلك أيضًا على حقوق مجتمع الميم الكويري. أؤمن بشدة بأنّ احتواء آراء وأصوات جميع الفلسطينيين من مجتمع الميم الكويري، ابتداءً من الدؤوبين على ربط قضايا مجتمع الميم الكويري بالقضايا الوطنية، وحتى هؤلاء المعنيين بتطبيع التعاون مع [مجتمع](https://www.haaretz.com/misc/tags/TAG-gay-israel-1.5599221) الميم الكويري الإسرائيلي، هو مؤشر لمجتمع سليم وسوي. يحق لهم ذلك دون تُصدر عليهم أي أحكام ودون إقصائهم من فضاءات الكويريين الفلسطينيين.

مجتمع الميم الكويري الفلسطيني متنوع، كالمجتمع الفلسطيني تمامًا، وهذه يجب أن تكون نقطة قوة بالنسبة لنا، بدلًا من أن تكون مسببًا للفئوية. إنهاء الاحتلال يبقى مطلبًا فوريًا، ولكن لا حاجة للتشبث بمبنى هرمي ثابت لِما يُعتبر ملحًا وفوريًا من حيث احتياجات مجتمع الميم الكويري. يتوجب علينا، كفلسطينيين كويريين، احتواء الاختلافات في السبل نحو التحرير الوطني والشخصي.

[*عزات*](https://www.izatelamoor.com/) *العمور هو طالب للقب الثالث في علم الاجتماع التربوي في قسم الإحصاء التطبيقي، علم الاجتماع والعلوم الإنسانية في جامعة نيويورك. يبحث في قضايا مجتمع الميم الكويري في فلسطين، مع التركيز على التربية، الحياة الأسرية، الحركة الكويرية الفلسطينية، وحياة أفراد مجتمع الميم الكويري في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مع التركيز على العوامل السياسية والثقافية وراء التغيير الحاصل في مجتمع الميم الكويري منذ ثورات الربيع العربي في 2011. تويتر* [*@ElamoorIzat*](https://twitter.com/ElamoorIzat)